ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Asst. Lect. Alaa Hussein Saber
University of Wasit / College of Arts / Department of Philosophy
Email: alaa106@uowasit.edu.iq

Keywords: Freedom, Cogito, Moral Law

ARTICLE INFO

Article history:
Received 20May 2025
Accepted 29May 2025
Available online 1 Jul 2025

Are We Truly Free? A Philosophical Study of Descartes and Kant

Abstract

This study explores the concept of freedom in modern philosophy and its deep connection to human existence and identity. It examines the perspectives of two prominent modern philosophers: the French thinker René Descartes, known for his rationalist philosophy and method of systematic doubt, through which he developed his notion of freedom as an act of will, specifically, the "will of indifference," which operates independently of reason; and the German philosopher Immanuel Kant, whose idealist and critical philosophy led him to apply his practical reasoning to the concept of freedom, seeking appropriate solutions to its philosophical dilemmas. The research adopts an analytical approach, examining the original philosophical texts and interpretations offered by both philosophers, in order to highlight their distinct views on freedom. By the end of the study, a number of conclusions are drawn regarding the essence of freedom and its intrinsic link to the human condition, as emphasized by both Descartes and Kant.

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.4479

هل نحن أحرار حقاً؟ دراسة في آراء الفلاسفة (ديكارت ، كانط)

م.م آلاء حسين صابر / جامعة واسط/ كلية الآداب/ قسم الفلسفة

الملخص

نبين في هذا البحث دراسة حول مفهوم الحرية في العصر الحديث وعلاقتها بوجود الانسان وكيانه، وكيف نظر اليها ابرز الفلاسفة المحدثين وهو الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت الذي عرف بطابعه العقلي واستند في فلسفته على منهج الشك والذي إشار من خلاله على فكرته للحرية القائمة على الإرادة وهي ارادة اللامبالاة المستقلة عن العقل، والفيلسوف الألماني امانويل كانط ذو النزعة المثالية وانسجاما مع فلسفته النقدية فقد حاول المساهمة في تطبيق فلسفته العملية على مفهوم الحرية وايجاد الحلول الملائمة لهذه المشكلة واتبعنا في هذا البحث المنهج التحليلي من خلال تحليل نصوص الفلاسفة لهذا المفهوم وابراز وجهة نظرهم، وفي نهاية البحث توصلنا الى جملة من النتائج تتعلق بالحرية وعلاقتها بالإنسان التي نادى بها كلاً منهما.

الكلمات المفتاحية: (الحرية، الكوجيتو ، القانون الخلقي)

المقدمة:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يعتبر القرن السادس عشر والذي عرف بعصر النهضة الأوربية التي بدأت مع غاليلو منذ ثورته العلمية، وتطورت مع ديكارت وغيره من الفلاسفة والمفكرين، فكانت بداية النهضة علمية ثم بعد ذلك شملت عدة جوانب منها الإجتماعية والسياسية والدينية، وكذلك عملت على إلغاء ودحض سلطة الكنيسة والدين التي قيدت الأنسان وجعلته مكبل بتلك المفاهيم السائدة التي تحد من حريته، وعلى هذا التصور استطاع الفلاسفة ان يمضوا في البحث على مفاهيم جديدة تخص الجانب الأنساني ولعل أهمها مفهوم الحرية وتعتبر قضية خاصة إنسانية وضرورية تظهر في علاقته مع المجتمع.

وعلى هذا المبدأ يعد مفهوم الحرية مفهوما مركزياً في الفلسفة بوجه عام وذلك لسببين: الاول فأن ظهور الفلسفة ارتبط تكوينياً بالخطاب العقلي بمعنى ذلك الخطاب الذي يحرر الأنسان من العنف والخوف والأساطير، والسبب الثاني كون سؤال الحرية عبارة عن ملتقى تقاطعات عديدة، فهو سؤال معرفي يطرح معضلة حدود المعرفة أي بلغة كانط (ما الذي يمكنني معرفته؟)، وهذا السؤال يحدد موقع الأنسان داخل الكون وعالم الأشياء والمخلوقات ويدعو الى التفكير في انماط الوجود التي ينفتح اليها الكائن الإنساني.

فأن التطور الفكري لأي مجتمع من المجتمعات يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتطور الحضاري والعلمي والسياسي، وهذا التطور بدوره مرهون بصورة اساسية بمدى وعي الأنسان بحريته وممارسته لها، وعلى هذا

النحو تتعدد مفاهيم الحرية وتختلف اختلافاً جذرياً عند الفلاسفة، ويرجع السبب لهذا الأختلاف الى توجهاتهم الفكرية ومذاهبهم الفلسفية.

وعليه فأن تعريف الحرية في الأصطلاح الفلسفي كما عرفها لالاند في كتابه الموسوعة الفلسفية هي: "الأنسان الحر هو الذي لا يكون عبداً او سجيناً، والحرية هي حالة ذلك الذي يفعل ما يشاء وليس ما يريده شخص آخر سواه، أي غياب الإكراه الخارجي" (لالاند، ب،ت، صفحة 727). فالحرية هي ان يتمتع بها الفرد بكامل حقوقه مع مراعاة عدم الضرر بالآخرين، بمعنى ان يؤدي الأنسان افعاله في حدود يسمح بها القانون والمجتمع.

اما مفهوم الحرية في فلسفة الأخلاق وارتباطها به كما سنرى عند امانويل كانط، فيعرفها جميل صليبا في معجمه الفلسفي بأن "الحرية هي الحد الأقصى لإستقلال الإرادة، العالمة بذاتها والمدركة لغاياتها" (صليبا، 1982، صفحة 463).

فالحرية ليست بالفكرة الجديدة فأن جذورها كانت قديمة فقد شغلت بال الكثير من المفكرين والفلاسفة، إلا انها شهدت تطوراً كبيراً في العصر الحديث او ما يعرف بعصر الأنوار، ولعل من اسباب اختياري للموضوع هو الميل للفكر الغربي الحديث بمعظم مفاهيمه ومن بينها مفهوم الحرية وعند اكبرالفلاسفة المحدثين الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت، والفيلسوف الألماني أمانويل كانط.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المحور الأول: الحرية القائمة على الكوجيتو الديكارتي

يعد ديكارت ذلك الفيسلوف العقلاني الذي كان له الفضل الأكبر في ارجاع حرية الأنسان التي لولاها لما كانت هناك نهضة اوربية ولا انقلاب على تلك المفاهيم، فديكارت واجه كل ما كان سائداً من خلال التفكير النقدي الحر وتحطيم القيود وازالة العوائق التي تمنع تقدم الأنسان ونموه، ويستند في ذلك بواسطة فلسفته التي تبدأ من الشك وصولاً الى اليقين والذي يعبر عنه بالثورة الديكارتية، والتي عبر عنها بمفهوم الكوجيتو الديكارتي في كتابه مقال عن المنهج فيقول: " اذن انا افكر اذن انا موجود" (ديكارت، 1985، صفحة 124)، وبهذه العبارة استطاع ديكارت ان يمجد سلطة العقل والتحرر من الأفكار السابقة والراسخة في اذهان المجتمع.

ويؤكد بذلك أن على الأنسان ان يجتهد في كبح جماح شهواته ورغباته، لان افكارنا هي ملك لنا ونستطيع ان نتحكم فيها كيفما نشاء، فلا يعترينا الحزن اذا ما اخفقنا في الحصول على الاشياء التي لا يمكن الوصول اليها، وعلى هذا التصور نستطيع ان ننعم بالقوة والغنى والحرية بالإضافة الى كل انواع السعادة. (ينظر :محمد، 1984، صفحة 48).

والحق ان مشكلة الحرية مرتبطة ببناء مذهب الشك المنهجي لدى الفيلسوف، اذ يتصور ان الانسان عندما يشـــك فيكون بذلك في حالة رفض او قبول لأمر ما، وبما ان الشـــك عملية فكرية وله صـــلة وثيقة بقدرة الله الحقة، فهذا يعني ان الله هو اساس الحرية ومبعثها (عباس، 1996، صفحة 410).

وهنا نجد بأن ديكارت هو اول فيلسـوف بين الفلاسـفة المحدثين اهتم بدراسـة مفهوم الحرية ولا نعني بهذا ان احداً لم يهتم بهذه المشـكلة من قبله، بل اننا نجد عند ه لأول مرة في تاريخ الفلسـفة دراسـة ميتافيزيقية لهذا المفهوم (ينظر : ابراهيم، 1963، صفحة 125).

وعلى هذا المنطلق فأن حرية الله تتناول كل شـــيء، ليس فقط ما نراه ممكناً بل حتى الحقائق الفلســـفية الدائمة وماهية المخلوقات، فالله صانع الأشياء جميعاً وتبدو انها ضرورية لنا لكن هو الذي فرضها على عقلنا وارادها ان تكون كذلك، وعليه فأن الله كان حراً في ان يجعل الخطوط الممتدة من المركز الى المحيط متساوية (ينظر: كرم، 1966، صفحة 77 و 78).

فالحرية عند ديكارت هي اقرب ما تكون الى (معجزة)، لأن مثلها كمثل الخلق من العدم ويعرفها بأنها القدرة على فعل هذا الشيء او الإمتناع عن فعله (ينظر : ابراهيم، 1963، صفحة 125) ويبين ذلك في كتابه مبادئ الفلسـفة بقوله: " بديهي جداً ان لنا ارادة حرة توافق او لا توافق كما يحلو لها " (ديكارت، مبادئ الفلسفة، 1960، صفحة 133).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ولكن هذه القدرة بعيدة عنه كل البعد على ان تكون مجرد (عدم اكتراث)، فيقول ديكارت نفســـه ان عدم الإكتراث الذي اشـعر به حينما لا اكون مدفوعاً الى اختيار هذا الجانب او ذاك تحت تأثير أي قوة مسـببة او أي او أي مبرر عقلي هو ادنى درجة من درجات الحرية (ينظر : ابراهيم، 1963، صفحة 125).

فالواقع ان ديكارت قد فرق بين نوعين من انواع الحرية هما: حرية **الأســتواء** او ما يســميها بحرية عدم الاكتراث التي لا تقوم على تحديد الإرادة ، والحرية **المعقولة** التي تقوم على تحديد الإرادة والتي تقترب الى حد ما من نظرية ســقراط والرواقيين في الحرية، وهاذان النوعان من الحرية يختلفان درجة وقيمة بالنســبة للإنسان او بالنسبة الى الله، فعند الموجود اللانهائي (الله) نجد ان الحرية لا تقوم على تحديد الإرادة، لأن الله لا يخضع لأي بواعث خارجية مادامت الحقائق الأبدية متوقفة عليه، اما حرية عدم الاكتراث فهي ادنى درجة من درجات الحرية (ينظر : ابراهيم، 1963، صفحة 127).

واما الإرادة فتكمن فقط في قدرتنا على فعل شيء ما او الإمتناع عنه، وبمعنى آخر تكمن بحسب وجهة نظر ديكارت من اجل الاثبات او النفي او بصدد المتابعة او الهروب، ومن وجود الأشياء التي يفرضها علينا الفكر ونتصـــرف بعدم وجود أي علة خارجية تجبرنا على ذلك لأن الله يتدبر أمر تفكيري الداخلي، وبالتالي فأنني اقوم بفكر حر بإختيار احد النقيضين لأنني اذا كنت اعرف بكل وضوح ما هو حقيقي وما هو خير فأني

لن اكون قلقاً بصـــدد التردد حول أي حكم او أي اختيـار عليَ ان اقوم بـه، لان الحق والخير يلتقيـان وهكـذا سأكون حراً تماماً (ينظر : هلالي، 2009، صفحة 30 و 31)

ويقول ديكارت في كتابه مبادئ الفلسفة: " ان اعلى مراتب الكمال عند الأنسان هو انه حر الأختيار، وهو الأمر الذي يجعله خليقاً بالمدح او الذم " (ديكارت، مبادئ الفلسـفة، 1960، صـفحة 129)، ومعنى ذلك بأن الحرية عنده هي تخليص الأنسـان من حالة العبودية فتحوله سـيداً على عواطفه ويكون العقل اسـاسـها الأول ومنبعها الأصلي (عباس، 1996، صفحة 410).

مما يعني ان الله هو الجوهر الأول كامل ولا متناهي وحر وتنسب اليه كل الصفات الوجودية التي تثبت كماله وحريته وقدرته. (ينظر :محمد، 1984، صفحة 79)

وفي ضـوء ما سبق نستطيع ان نثير موضوع هام وهو المسؤولية الأنسانية والحرية، بمعنى ان الله قد وهبنا العقل والارادة التي جعلها تتصـرف بحرية حتى اذا اخطأت ارتفعت مسـؤولية الله عن الخطأ (عباس، 1996، صفحة 413)، ويبين ذلك ديكارت بقوله " في ان اخطائنا هي عيوب في تصرفنا لا في طبيعتنا، وان اخطاء الناس يمكن في اكثر الأحيان ان تنسـب الى الفاعلين الآخرين لا الى الله " (ديكارت، مبادئ الفلسـفة، 1960، صفحة 129).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

فيحاول ديكارت في التأمل الرابع من كتابه للوصول الى حل هذه المسألة من خلال إلقاء النتائج على إرادة الأنســـان اللامتناهية التي تســـيء اســـتعمال الحرية، لأن الخطأ الناتج عن هذا المفهوم هو علة وقوع الأنسان في الحرمان فلا مسؤولية ولا شكوى على الله في ذلك. فيقول " هذا الأستعمال السيء لحرية الأختيار يقع (الحرمان) الذي هو قوام صـورة الخطأ، أقول ان الحرمان يقع في الفعل من حيث انه صـادر مني، ولكنه غير موجود في القوة التي انعم الله بها عليَ " (ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، 2009، صفحة 191 و 192).

وخلاصـــة القول ان مفهوم الحرية عند ديكارت تأخذ معاني متباينة وتندرج في مراحل مختلفة فهي تبدأ بحرية اللامبالاة المستقلة عن نور العقل وهي أولى مراحل الحرية لدى الأنسـان، الا انها ليست كذلك بالنسبة الى اللـه، " فالحرية الإنســـانية تتميز بالقدرة على فعل الطرفين او حرية اللامبالاة، اما الحرية الإلهية فتتميز عن الحرية الإنسـانية بخلقها للحقائق في حين لا تسـتطيع حرية الإنسـان فعل ذلك" (عباس، 1996، صـفحة 412).

وهنا نصـل الى سـمة من اغرب السـمات في النظرية الديكارتية فهذا الفيلسـوف العقلي هو ايضـاً فيلسـوف ذو نزعة ارادية فلا شـك انه لا انفصـال في الله بين الحرية والعقل او بين الإرادة والعقل، ومع ذلك فما من فيلسوف أكد حرية الله المطلقة كما أكدها ديكارت. (ينظر:فال، (ب.ت)، صفحة 18)

المحور الثاني: الحرية الأنسانية أساس القانون العملي عند كانط

يقول كانط في كتابة نقد العقل العملي: "شـــيئان يملئان بإعجاب وإجلال، يتجددان ويزدادان على الدوام كلما امعن الفكر التأمل فيهما: الســـماء ذات النجوم من فوقي والقانون الأخلاقي في داخلي " (كنت، 2008، صفحة 269).

ومن خلال هذه العبارة الوجيزة أراد شيخ المثالية الألمانية أن يشير إلى أمرين عظيمين ما زال لهما في حياة الانســـان الواعية قيمة عالية، الأول منها مشـــهد الكون العجيب الذي يدل على وجود قوة روحية عظيمة تفوق قوى الطبيعة والمدبر الأول للكون كله، والمشهد الثاني هو الضمير الانساني وهو ذلك الصوت الداخلي الذي يملي على المرء ما ينبغي أن يعمل، فالأول يدفع الانسان الى الاعتقاد بما وراء العالم المحسوس ويعبر عنه بأسم الدين، والثاني يدفعه الى اتخاذ قاعدة ثابتة للحياة المثالية تجعله يرتفع على نفســه وهو ما يعبر عنه بأسم الأخلاق (ينظر: امين، 1967، صفحة 118 و 119).

وبهذا المعنى نتوصل الى مفهوم الحرية، لأن الاخلاق عند كانط تقوم على الحرية، فالشرط الاول اللازم توافره لكي يصبح المثل الأعلى الأخلاقي حقيقة واقعة هو الحرية، اذ لا تكون حرية معناه لا تكون أخلاق ولا أخلاقية من غير حرية (ينظر: امين، 1967، صفحة 119)، وفي الجانب العملي فأن بقاء الله مجهولاً بالنسبة لنا يدفع قدرتنا على التصرف بحرية وعليه فأن الله حر وحريته ليست مطلقة (حسين، 2022)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وعليه فالمقصـــود من الحرية عند كانط هي القدرة على إحداث الأشـياء تلقائياً، بمعنى القدرة على البدء بالفعل دون التقيد بعلل سابقة تبعاً لقانون الكلية الطبيعية، والحل هنا يكمن في التفرقة بين نظام الظواهر ونظام المعقول، والقول أن هناك بعض الأفعال الإنســـانية التي تبدو للحواس على أنها تندرج في ســـلســـلة الكلية الطبيعية، انما هي في الواقع تصدر عن علية حرة موجودة في عالم الأشياء في ذاتها (ينظر: بدوي، 1977، صفحة 318).

ويبدأ كانط في كتابة (نقد العقل العملي) بالكلام عن فكرة الحرية التي وحدها تســـمح بقيام الاحكام التركيبية الأولية في الأخلاق، ويبين ان العقل العملي لدى كانط يعطي مفهوم الحرية حقيقة موضوعية يشرع بصدد الشيء في ذاته وبصدد الكائن الحر بوصفه شيئاً بذاته، وبصدد العالم ما فوق المحسوس وأخيراً بسبب الصـــددية النومينية والمعقولة لكل كائن عاقل وقانون هذا الاســـتقلال الذاتي للحرية الانســـانية هو القانون الأخلاقي الذي وهو القانون الأساسي لطبيعية ما فوق المحسوس فهو قانون وجودنا المعقول (ينظر: دولوز، 1997، الصفحات 51-52).

اما في كتابه تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق فيعرف كانط الحرية بطريقة سلبية ويعتبرها صفة تتعلق بأفعال الإنســـان بإعتبارها أفعالاً مســـتقلة عن العلل الطبيعية. واما من ناحية التعريف الايجابي للحرية نجده يتناول

ماهيتها بإعتبار أنها القوة التي يصـــدر بها الكائن العاقل قانون بنفســـه، بمعنى أن علة الحرية تأتي من ذاتها وذلك لأن قانون الحرية لا يمكن أن يضعه سوى الحرية ذاتها بحيث تكون الإرادة هي الإرادة الحرة المستقلة (كانت، 1963، صفحة 103).

ويقول أيضا ان " مبدأ استقلال الإرادة اذن هو ان نختار دائماً بحيث تكون مسلمات اختيارنا متضمنة في الوقت نفسه كقوانين كلية في فعل الارادة نفسه، كون هذه القاعدة العميلة أمراً أخلاقياً. أعني إن إرادة كل كائن عاقل مرتبطة بها إرتباطاً ضرورياً كشرط لها، أمر لا يمكن إثباته عن طريق التحليل البسيط للتصورات التي تشتمل عليها الإرادة والسبب في ذلك أنها قضية تركيبية " (كانت، 1963، صفحة 91).

والواقع ان الشعور الخلقي يفرض علينا إلتزامات معينة وبذلك يجبرنا على تحمل مسؤولية أخلاقية تجاه ذواتنا، ونحن لا نكون ملزمين أخلاقياً إلا إن كانت أفعالنا واقعة علينا، وهذا معناه أننا أحرار فعلاً، فالحرية في نظر كانط وثيقة الصـــلة بالأخلاق والدليل الخلقي هو الدليل الوحيد على وجود الحرية (ينظر : ابراهيم، 1963، صفحة 38).

وبحسب قول كانط في كتابه (نقد العقل العملي) يبين بأن " الحرية هي أيضاً الوحيدة من بين جميع أفكار العقل التأملي التي نعرف قبلياً بإمكانيتها، ولكن دون ان ندركها، لأنها شـرط القانون الأخلاقي الذي لنا معرفة به " (كنت، 2008، صفحة 44).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وهنـا علينـا أن نتوقف قليلاً عنـد نظريـة كـانط في الحريـة فنرى في هـذا البحـث أن نظريتـه من أكثر المتناقضـــات أهمية وخطورة بمعنى ذلك التناقض بين الحرية والحتمية، ونحن هنا بإزاء إشـكال لا يمكن من السهل حله، إلا إن كانط يحاول أن يحله من خلال الرجوع الى التفرقة بين الظواهر الخاضعة للزمان والمكان وبين الحقائق التي هي خارجة على الزمان والمكان (ينظر : ابراهيم، 1963، صـــفحة 38). ولكن هل معنى ذلك أننا لسنا أحرار على الإطلاق؟

فيجيب كـانط بقوله بأنه لا ينبغي إن تطفر على هذا النحو أي من نطاق إلى نطاق، بل ينبغي أن تفهم أنه لا يكفي من أجل تفســـير حياة أي إنســـان ان نبين كل ظـاهرة من الظواهر التي تتـألف منهـا حيـاته ومحددة ضـرورة بما سبقها من ظواهر، بل الواقع أنه علينا أن نفسر حياة الإنسـان في مجموعها، وللوصـول إلى هذا الحل لا بد من الخضوع الى الطابع او القانون الأخلاقي لأننا لا نستطيع بهذا القانون من الرجوع الى الظواهر الخاضعة للضرورة لأنها ليست ظواهر محسوسة وحسب بل هي حقائق معقولة وبذلك في وسعنا من خلال هذا الحل أن نتوصـــل من إقرار أننا أحراراً في طابعنا الخلقي ســـواء كان حســـناً أم رديئاً (ينظر : ابراهيم، 1963، صفحة 39).

ويبين ذلك كانط من خلال مثال له: بأنه لا شـك أن للكذب أسـسـاً تجريبية بمعنى أن نحدد علاً ظاهرية للكذب، فنقول سوء تربية أو سوء رفيق أو إنعدام خجل أو ما الى ذلك، آلا إننا ميالون دائماً في إلقاء اللوم على الكذاب، فلا نلومه على سـوء تربيتهِ وأنما نلومه على أسـاس أنه كان ينبغي أن يفعل غير ما قد فعل (ينظر: زيدان، 1979، صفحة 316).

اذن فكان ينبغي الا اكذب، فقد كان لدي هذا الباعث او ذاك مما يترتب عليه بالضـرورة تفوهي بتلك الكذبـة، ولكن هذا لا يصـدق الا في المجـال الزمني، امـا من وجهـة نظر العقل فأن كذبي وليد حرية معينة، حقيقية وواقعية وليسـت خاضـعة للزمان، فالأنسـان هنا حتى لو لم يفهم طبيعة تلك الحرية، فلا بد له من ان ينسب الى نفسه مبدأ حر ويفسر ما عليه من التزامات خلقية، ولكن الحرية التي يتحدث عنها كانط هنا ليست مجرد حرية ظاهرية تستند الى إرادة خاضعة للعلية ، بل هي حرية حقيقية تعبر عن قدرتها على توجيه ذواتنا في اسـتقلال تام عن سـائر المعطيات التجريبية. وهكذا نرى كانط ينتهي الى القول بأن الإيمان بالحرية هي التي بدونها لن يكون ثمة واجب، فالحرية هي بحد ذاتها واجب ان لم تكن اول الواجبات (ينظر : ابراهيم، مشكلة الحرية، 1963، صفحة 42)

ويوضـح كانط موقفاً له هو من الممكن أن نتصـور أن الانسـان مجبر وحر، مجبر من حيث هو ظاهرة وحر من حيث هو شيء في ذاته (ينظر: زيدان، 1979، صفحة 317).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

فإن كـانط هنـا مقتنع بـأننـا أحراراً ومجبرون في آن واحد، فنحن أحرار بالنظر الى ذاتنا المطلقة العالية على الزمان، ومجبرون بالنظر الى ذاتنا الحسـية التجريبية التي تخضـع للعلية في نطاق الزمان، فيقول كانط في كتـابـه نقد العقل المحض: " اذا كـان للعقل عليَّة بالنظر الى الحرية بعامة، فأنه ليس لديه عليَّة بالنظر الى الطبيعة في مجملها، واذا كان يمكن لمبادئ العقل الخلقية ان تولد افعالاً حرة، فأنه ليس بوسعها ان تولد قوانين للطبيعة. فلمبادئ العقل المحض في اسـتعماله العملي، اعني في الأسـتعمال الخلقي، واقع موضـوعي اذن " (كنط، ب- ت، صفحة 386) فليس بدعاً أن يكون الإنسان حراً ومسؤولاً بإعتباره شيء في ذاته ما دام اختياره الاصـلي إنما يتحقق في عالم مطلق معقول لا يخضـع لقيود الزمان، فالإنسـان حر وحريته الأخلاقية إنما هي عقلة نفسـه بإعتباره عالياً على الطبيعة (ينظر : ابراهيم، كانت او الفلسـفة النقدية، 1972، الصـفحات 156-157).

وبهذا المعنى لا يمكن مفهوم الحريـة أن يمثل ظـاهرة، بـل فقط شـــيئاً في ذاتها وليس معطى في الحدس، وهذه الخلاصة تقود الى ثلاثة عناصر هي (ينظر: دولوز، 1997، الصفحات 50-51):

أولاً: ان المعرفة التي تقوم على الظاهرات حصـــراً مضـــطرة من أجل مصـــلحتها أن تطرح وجود الأشـــياء في ذاتها بوصـــفها لا يمكن أن تكون معروفة، بل عليها أن تفتكر لتقوم مقام أســـاس للظاهرات المحسوسة بحد ذاتها.

ثانياً: تنسب الحرية الى الشيء في ذاته وعليه ينبغي افتكار النومين كحر، فحين تتمتع الظاهرة بملكات فعالة وعفوية فيعني أن لدينا ادراك وبوجه خاص (عقل) بوصفنا كائنات عاقلة فعلينا أن نفتكر أنفسنا كأعضاء العالم المعقول او ما فوق المحسوس موهوبين سببية حرة.

ثالثاً: أن مفهوم الحرية في الواقع كفكرة للعقل يتمتع بإمتياز ســـامي على جميع الأفكار الأخرى، لأنه يتحدد عملياً فيكون المفهوم الوحيد اي فكرة العقل الوحيدة الذي يعطي الأشـياء في ذاتها معنى واقعي وتجعلنا ندخل بالفعل الى العالم المعقول.

باختصـــار يشـكل مفهوم الحرية في فلسـفة كانط الأســاس الذي تقوم عليه الأخلاق والعقل العملي بوجه خاص، بحيث ينظر اليها كشـرط ضـروري للمسـؤولية الأخلاقية والتشـريع الذاتي، فالفعل الأخلاقي ينبع من احترام القانون الأخلاقي الذي يختاره الأنسان بحرية تامة وبعيداً عن الدوافع الحسية اوالدوافع الخارجية.

الخاتمة:

ومن خلال ما تقدم نفهم ما يلي:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

1. يرى ديكارت ان الناس يستطيعون تحسين قدراتهم الفكرية ليكونوا احراراً من خلال العقل، مما يؤدي بالمرء على قدرة اكبرعلى الحرية، فالحرية بمعنى التحرر هي حرية فكرية فحسب.
2. نستطيع ان نستنتج بحسب وجهة نظر ديكارت ان الإرادة الحرة هي تعبير آخر عن المعرفة الإنسانية، وتبدأ من خلال فهم الإنسان لأفكاره الفطرية والتي بدورها تأتي من الله.
3. يبين ديكارت بأن العقل وحده الذي يســتطيع ان يحلل ويبدع في تبســيط الأشــياء، ولا يكون ذلك إلا بحرية الفكر التي تســمح له بجعل الفرد قادراً على الاختيار عن طريق تخليص الفكر من كل الأوهام والمعتقدات فيتبنى بدوره فكر عقلاني يؤمن بوجود الوعي الكامل للحرية.
4. تبين لنا مما سبق بأن الحرية عند ديكارت اتخذت معاني متباينة في فهمها وتوضيحها اذ بدأت بحرية العقل وبعدها تنتقل الى الحرية المطلقة، لكن جميع هذه الدرجات تتعلق بالحرية الإنسانية فقط لأن الله يعين ارادته دون تقييد، وبذلك ينتهي ديكارت بوصف الحرية بأنها الله.
5. يعتقد ديكارت ايضـاً بأن حرية الانسـان مستمدة من كونهم جواهر مستقلة، وبدورهم يعكسـون جوهر الله. لأن الله حر الجوهر، مما يعني ذلك بأن الناس احرار بطبيعتهم ايضـاً.

6. يتبين لنا مما سبق بأن مبدأ عقلانية كانط يوصلنا من خلالها الى فكرة الحرية، لأنه لا يمكن فصل فكرة الحرية عن العقل ابداً، لأنها محور مذهب العقل النظري والعقل العملي في آن واحد.
7. وفقاً لكانط ايضاً فأن الواجب والمسؤولية الأخلاقية هو بحد ذاته حرية، وذلك بافتراض العقل العملي وعليه ينبغي قبول فكرة الحرية لديه.
8. تمت البرهنة على فكرة الحرية بحسب كانط عن طريق كتابه (نقد العقل العملي) فقط، لأنها تشكل حجر الغلق في منظومة العقل الخالص او العقل النظري بأكمله، فضلاً عن ان الفعل الأخلاقي العملي عند كانط لا يتم إلا من فكرة الحرية. فيرى بأن واقعية الحرية كامنة فينا على الرغم من منهجه الترانساندتالي.
9. فرق كانط بين نوعين من الحرية هما الحرية العملية التي تتعلق بقدرة الفرد على تشريع قانونه الأخلاقي بنفسه، فيجعله مسؤولاً عن افعاله ضمن اطار القانون الخلقي. والنوع الثاني هو الحرية المتعالية وهي مفهوم نظري يشير الى السببية المطلقة والتي تنتمي الى العالم المعقول بحيث يكون الفعل غير محدد بأسباب حسية.

10- يعتبر كانط الحرية هي مُسلمة ضرورية للعقل العملي بجانب مسلمتي خلود النفس ووجود الله، فمن دون الحرية لا يمكن للعقل العملي ان يبرز امكانياته بالإلتزام الخلقي او شعوره بالواجب.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

قائمة المصادر والمراجع:

1. راوية عبد المنعم عباس، ديكارت والفلسفة العقلية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1996م.
2. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1966م.
3. جان فال، الفلسفة الفرنسية من ديكارت الى سارتر، تر: فؤاد كامل، مراجعة: فؤاد زكريا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،
4. علي عبد المعطي محمد، تيارات فلسفية حديثة، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984م.
5. زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية، الناشر مكتبة مصر، ط2، القاهرة،1963م.
6. عزيز لزرق ومحمد هلالي، الحرية، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2009.
7. رينيه ديكارت، مبادئ الفلسفة، تر: عثمان امين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960.
8. رينيه ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، تر: عثمان امين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009.
9. مصطفى النشار، فلاسفة ايقظوا العالم، دار قباء للطباعة والنشر، ط3، القاهرة، 1998.

10. اندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، مج1، تر: احمد عويدات، منشورات عويدات، ط2، بيروت، (ب،ت).
11. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.
12. رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، تر: محمود محمد الخضيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، القاهرة، 1985م.
13. امانويل كانت، تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق، تر: عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1963م.
14. جيل دولوز، فلسفة كانط النقدية، تعريب: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1997م.
15. عبد الرحمن بدوي، امانويل كنت، وكالة المطبوعات، ط1، الكويت، 1977م.
16. إمانويل كنت، نقد العقل العملي، تر: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2008م.
17. احمد امين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار المعارف، الإسكندرية - القاهرة، 1967م.
18. زكريا إبراهيم، كانت او الفلسفة النقدية، دار مصر للطباعة، ط2، القاهرة، 1972م.
19. محمود زيدان، كنط وفلسفته النظرية، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1979م.
20. عمانوئيل كنط، نقد العقل المحض، تر: موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، القاهرة، (ب-ت).
21. باقر ابراهيم حسين،طبيعة الفعل الاخلاقي وعلاقته بوجود الله في فلسفة كانت الاخلاقية،لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، المجلد الاول، العدد44، 2022.
DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss44.2090

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

List of References:

1.Rawiya Abdel-Moneim Abbas, Descartes and Rational Philosophy, Dar Al-Nahda Al-Arabiya for Printing and Publishing, Beirut, 1996.
2.Youssef Karam, The History of Modern Philosophy, Dar Al-Maaref, 4th Edition, Cairo, 1966.
3.Jean Wahl, French Philosophy from Descartes to Sartre, translated by Fouad Kamel, revised by Fouad Zakaria, Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution, Cairo.
4.Ali Abdel-Moaty Mohamed, Modern Philosophical Currents, Vol. 1, University Knowledge House, Alexandria, 1984.
5.Zakaria Ibrahim, The Problem of Freedom, Misr Library, 2nd Edition, Cairo, 1963.

6.Aziz Lzraq and Mohamed Hilali, Freedom, Dar Toubkal Publishing, 1st Edition, Casablanca, Morocco, 2009.

7.René Descartes, Principles of Philosophy, translated by Othman Amin, Al-Nahda Al-Masriya Library, Cairo, 1960.

8.René Descartes, Meditations on First Philosophy, translated by Othman Amin, National Center for Translation, Cairo, 2009.

9.Mostafa El-Nashar, Philosophers Who Awakened the World, Dar Qibaa for Printing and Publishing, 3rd Edition, Cairo, 1998.

10.André Lalande, Philosophical Encyclopedia, Vol. 1, translated by Ahmad Oweidat, Oweidat Publications, 2nd Edition, Beirut, n.d.

11.Jameel Saliba, Philosophical Dictionary, Vol. 1, Dar Al-Kitab Al-Lubnani, Beirut, 1982.

12.René Descartes, Discourse on the Method, translated by Mahmoud Mohamed El-Khodairy, Egyptian General Book Organization, 3rd Edition, Cairo, 1985.

13.Immanuel Kant, Groundwork of the Metaphysics of Morals, translated by Abdel-Ghaffar Mekkawi, Egyptian General Book Organization, 2nd Edition, Cairo, 1963.

14.Gilles Deleuze, Kant's Critical Philosophy, translated by Osama Al-Haj, University Institution for Studies and Publishing, 1st Edition, Beirut, 1997.

15.Abdel-Rahman Badawi, Immanuel Kant, Publications Agency, 1st Edition, Kuwait, 1977.

16.Immanuel Kant, Critique of Practical Reason, translated by Ghanem Hina, Arab Organization for Translation, 1st Edition, Beirut, 2008.

17.Ahmed Amin, Pioneers of Idealism in Western Philosophy, Dar Al-Maaref, Alexandria–Cairo, 1967.

18.Zakaria Ibrahim, Kant or the Philosophy of Criticism, Dar Misr for Printing, 2nd Edition, Cairo, 1972.

19.Mahmoud Zidan, Kant and His Theoretical Philosophy, Dar Al-Maaref, 3rd Edition, Cairo, 1979.

20.Immanuel Kant, Critique of Pure Reason, translated by Moussa Wahba, Center for National Development, Cairo, n.d.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية